نموذج مصغر

عرفان خليفة (تصوير ضوئي)

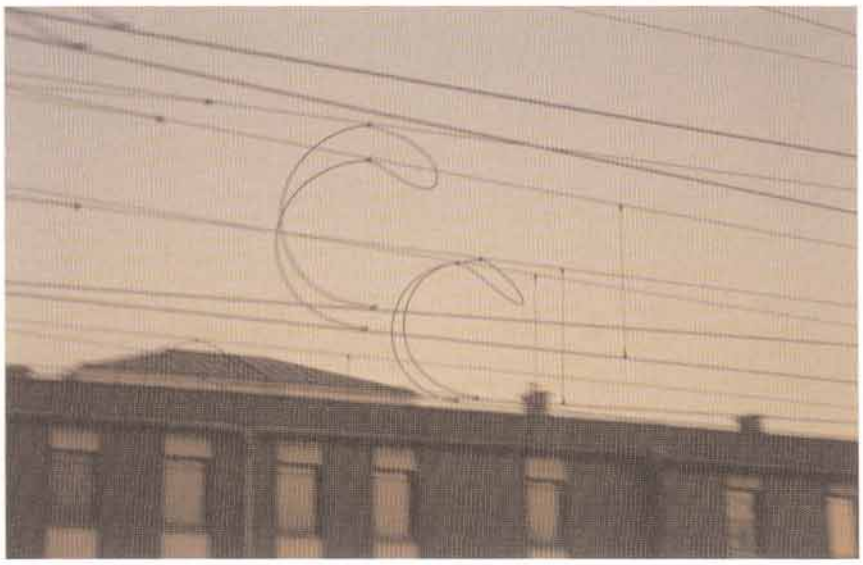

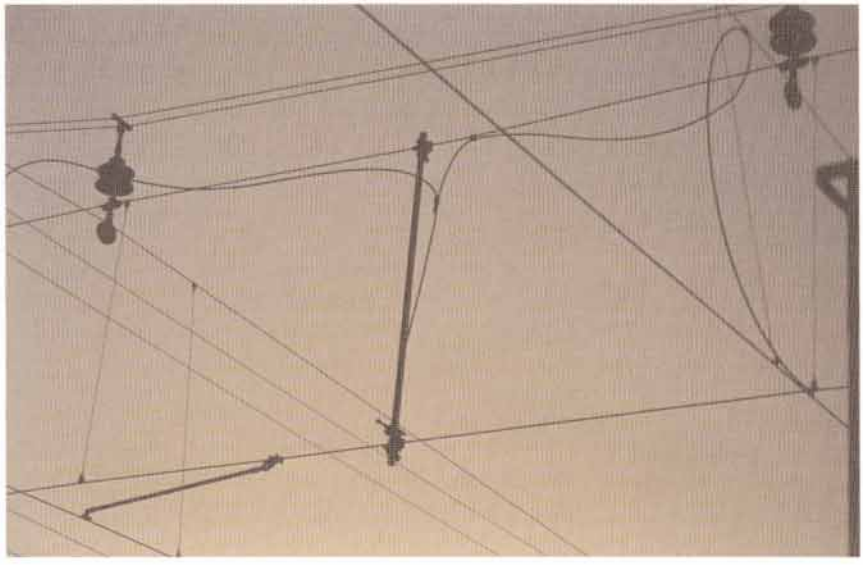

نموذج مصغر
عرفان خليفة (تصوير ضوئي)

وجّه عازف الناي المرموق جيمس جيلاوي السؤال التالي إلى المؤلف الموسيقي الكبير بندريتسكي في لقاء أجراه معه لبرنامج "الموسيقى عبر الزمن":

"سيد بندريتسكي، يعتبر "أصوات من الطبيعة" أحد أهم وأشهر أعمالك الفنية، وكثيراً ما يقارنه المختصون والهواة بسيمفونية بيتهوفن الريفية.وهنا تختلف الآراء حيث يرى البعض في عملك صوتا معبّرا عن الطبيعة، وينحاز البعض الآخر لسيمفونية بيتهوفن كتعبير مثالي عن الطبيعة. فما تعليقك على ذلك؟"

و أجاب بندريتسكي: "إذا كان الهدف هو نسخ أو إعادة صياغة سيمفونية بيتهوفن وتعبيره هو عن الطبيعة، فمن الأفضل لي وللناس أن نستمع لبيتهوفن الأصلي... أما إذا كان الهدف هو خلق صيغة جديدة للتعبير عن الطبيعة كما أحسها وأراها أنا كإبن القرن العشرين، فسوف تكون النتيجة مقطوعتي كما قدمتها وكما هي الآن.

فعندما أتنزه في الغابة اليوم، لا يمكنني تجاهل أصوات الطائرات المدوية العابرة فوقي ولا تجاهل رائحة المواد الكيماوية المنسابة مع مياة النهر ولا عدد الأشجار المقطوعة ولا النفايات المعدنية والبلاستيكية. واجبي أن أعبر عن كل ذلك، ولذا فسوف تختلف لغتي الموسيقية حتماً عن لغة بيتهوفن."

أما عني، فقد ذهلت بالخضار ووفرة الماء في كل مكان حال وصولي إلى أوروبا، ولكن حين دققت النظر وجدت خطوط الترام مترابطة كشبكة عنكبوت تقطع أوصال السماء وبدت لي الخطوط المعدنية كريهة. لقد أسرتني أول مدينة أوروبية دخلتها بجمال بنائها وضخامته، القديم منه والحديث، ولاحظت فورا أن خطوط الكتابات (ذات الأشكال الخاصة والألوان المميزة والمتنافرة في آن واحد) منحنية بشكل واضح، وإنتابني شعور بأنها تشوه جمال البناء الأصلي. ثم واصلت رحلتي في اتجاه فيينّا : فيينّا موتسارت وبيتهوفن ويوهان شتراوس وحتى أغنية أسمهان الشهيرة "ليالي الأنس في فيينّا". وقد رافقتني موسيقى بيتهوفن الريفية وأصوات بندريتسكي من الطبيعة خلال رحلتي من باريس - آرل - باريس - شتراسبورغ - برلين ووصولاً إلى فيينّا، ولم تفارق خيالي وذاكرتي الموسيقية طوال الرحلة.

وشاهدت الدانوب ينقسم إلى نهرين، والمترو يدور في أحشاء المدينة وخطوط الترام تنتشر في كل مكان كما تمتد الرسومات والكتابات على كل جدار، وبذلك جائتني فكرة توثيق خطوط الترام والرسومات والكتابات ثم القيام بمقارنتها. وبعد مقارنة ما يقارب ٤٠٠ صورة تبينت لي علاقة وثيقة بين خطوط الترام العنكبوتية من ناحية (والتي صممت من منطلق علمي عملي لا من منطلق فني جمالي) وبين الكتابة الشعبية على كل جدران بيوت فيينّا من ناحية أخرى، حيث يتشابهان في تشكيلهما وإنحنائهما إلى حد كبير. ولدى بحثي عن هذه الظاهرة في مجال الفن، وجدتها لدى الفنان فيرنر أوتي.

قد يطول البحث في هذا المجال ويعمق، وما هذه الصور القليلة المعروضة في هذا الكتاب إلا نموذج مصغر عن فكرة المقارنة بين شبكة الترام والكتابات على الجدران وأعمال أوتي الفنية ورسوماتي البسيطة المستوحاة من حركة المترو.

لقد نجح بندريتسكي في خلق نوع جديد من الألوان الموسيقية والسيمفونية والهرمونية متأثراً بالتبدلات التي جرت في القرن العشرين. فهل لشبكة الترام وللكتابات ولحركة المترو مكان وأثر في أعماله الموسيقية الأخرى؟

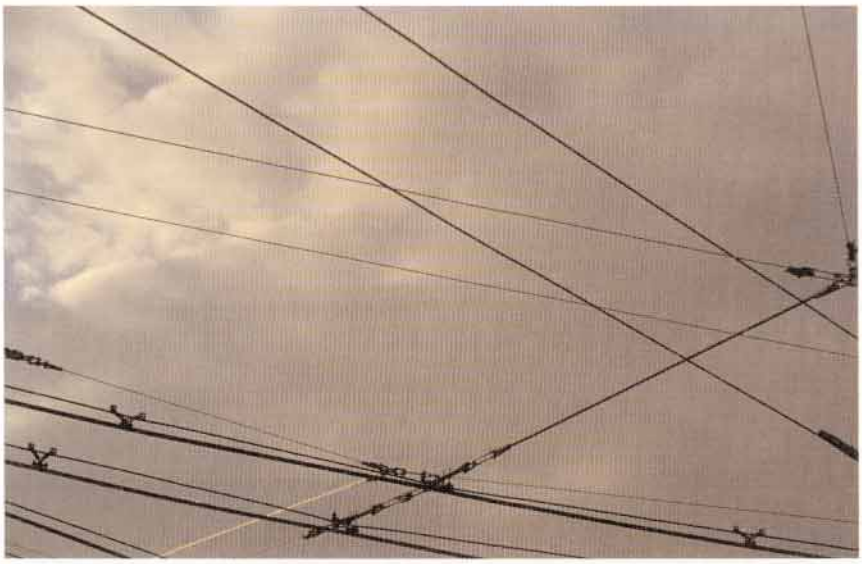

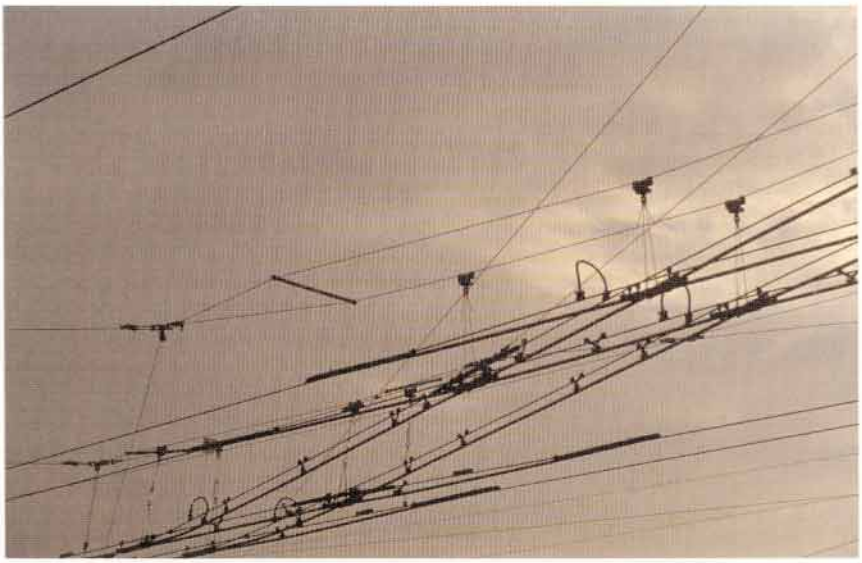

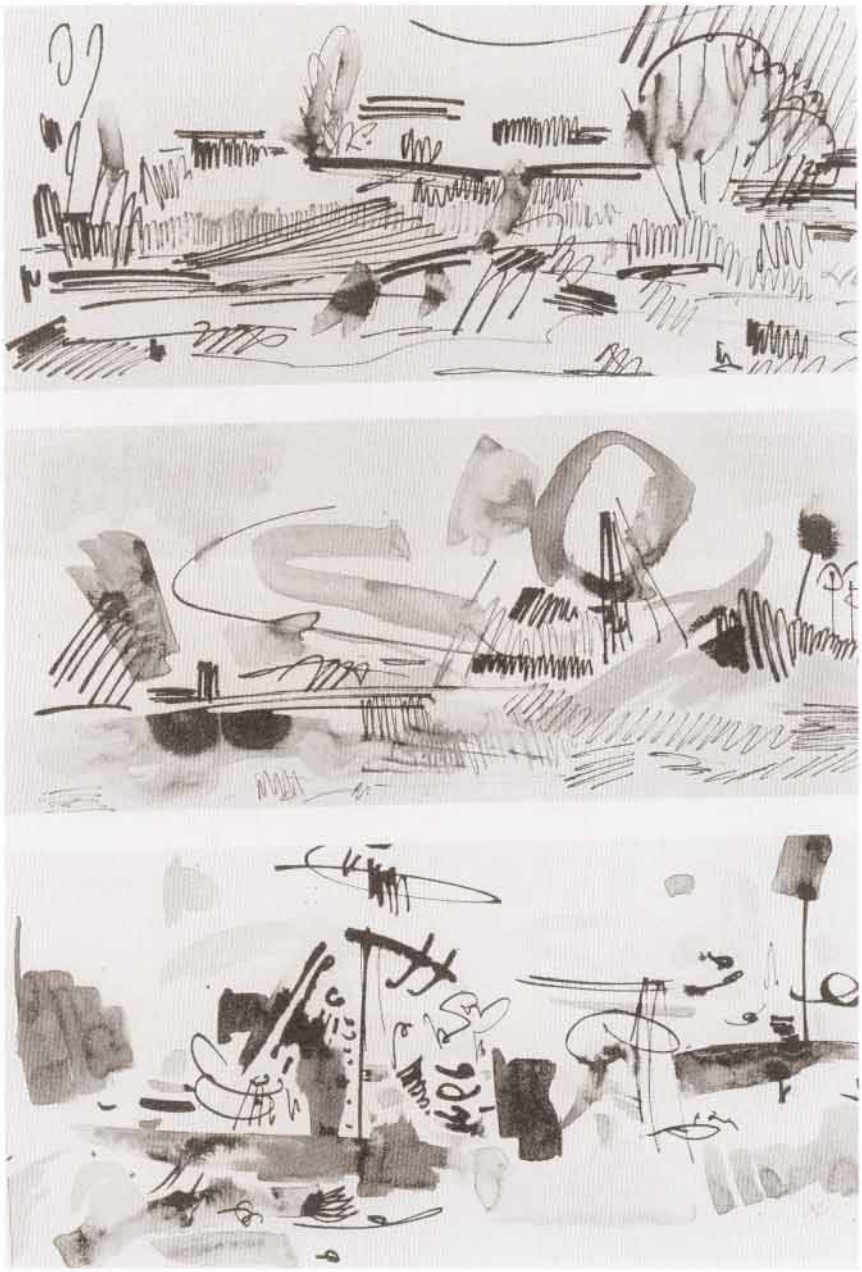

فيرنر أوتي ١٩٢٢–١٩٩٦

Werner Otte 1922-1996

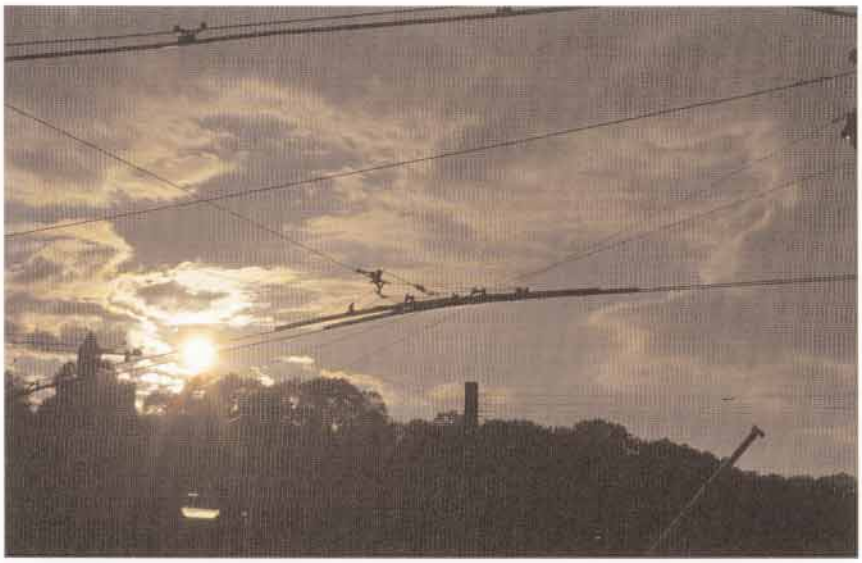

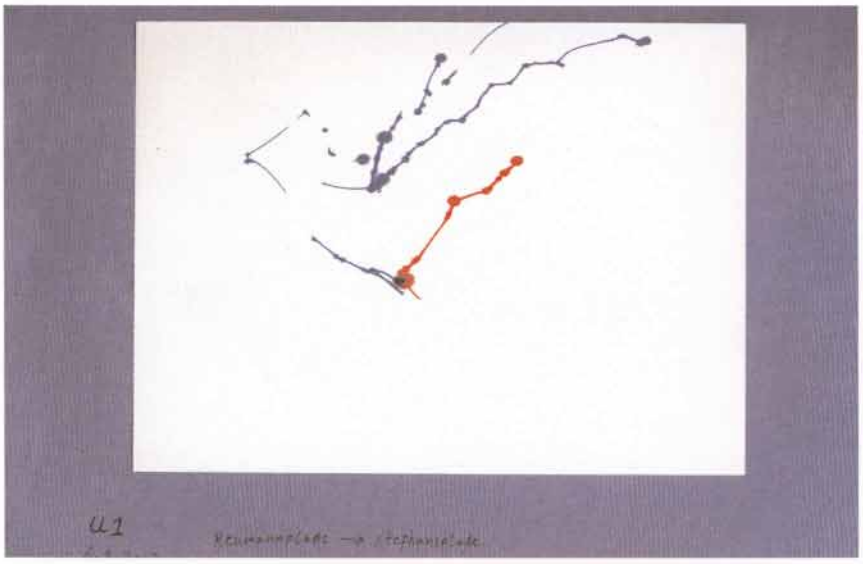

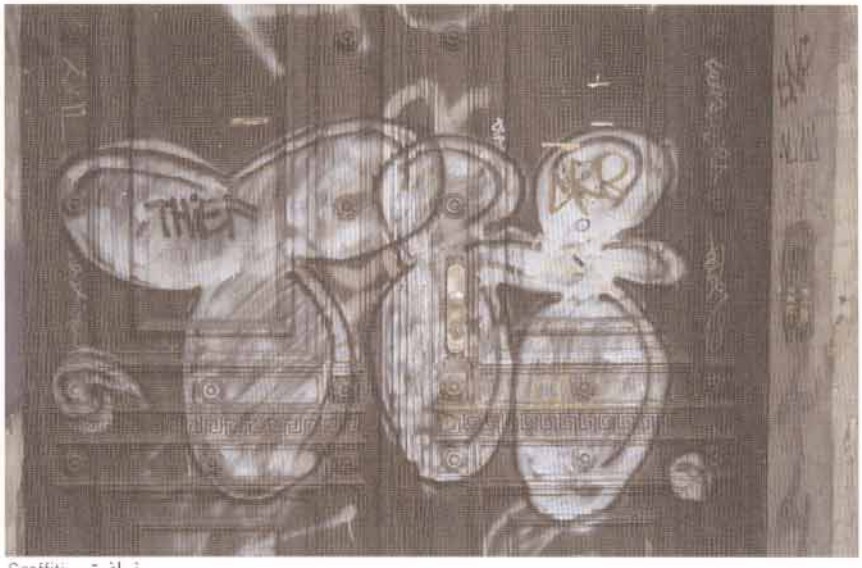

Graffiti غرافيتي